تحديات تعليم " الفلسفة الأخلاقية " باللغة العربية لغير الناطقين بها:
دراسة ميدانية على دارسي جنوب السودان

Challenges of teaching "Moral philosophy" in Arabic to non-native speakers:
A Field Study on South Sudanese Students.

د.محمد ثروت محمد عطية*

(أستاذ مقرر فلسفة الأخلاق المنتدب بكلية الآداب جامعة القاهة فرع الخرطوم – مدير أكاديمية اليوم السابع– مصر)

مستخلص البحث

تستعرض الدراسة أبرز التحديات التي يواجهها طلاب جنوب السودان غير الناطقين بالعربية عند دراسة مقرر "فلسفة الأخلاق" بكلية الآداب – جامعة القاهرة فرع الخرطوم. تشير النتائج إلى وجود عائقين رئيسيين: أحدهما لغوي والآخر ثقافي. فقد أظهرت التحليلات أن أغلبية الطلاب لم يصلوا إلى درجة الكفاءة الأكاديمية المطلوبة لفهم النصوص الفلسفية، وأن المصطلحات العربية المجردة تمثل تحدياً كبيراً أمامهم. كما وُجد أن النصوص الفلسفية طويلة ومعقدة من الناحية التركيبية، مما يزيد صعوبة الفهم. أظهرت الدراسة أيضاً أن أكثر طرق التدريس فاعلية كانت الشرح باللغتين العربية والإنجليزية، وتوفير ملخصات مبسطة، واستخدام أمثلة ثقافية. أما الترجمة الحرفية، فكانت الأقل فاعلية. وأثبتت التحليلات الإحصائية وجود علاقة موجبة بين الكفاءة اللغوية والتحصيل الدراسي.

تشير النتائج إلى أهمية تبني استراتيجية تعليمية عربية موحدة تشمل معاجم ثنائية اللغة، مناهج مقارنة، ووحدات تدريبية تطبيقية بالنسبة لغير الناطقين بالعربية إجمالاً. وذلك لتعزيز فهم الطلاب للمفاهيم الفلسفية. تسهم هذه الدراسة في إثراء الأدبيات المتعلقة بتعليم الفلسفة والعربية كلغة ثانية، كما تعزز الحوار الحضاري بين العالم العربي وأفريقيا.

Abstract

This study examines the challenges faced by South Sudanese students, non-native Arabic speakers, in studying the Moral Philosophy course at the Faculty of Arts, Cairo University – Khartoum Branch. The findings reveal two main obstacles: linguistic and cultural. Analyses showed that most students had not reached the academic proficiency required to understand philosophical texts, and abstract Arabic philosophical terms posed significant difficulties. Additionally, the texts were structurally complex, further hindering

comprehension. The study also found that the most effective teaching methods were bilingual explanations (Arabic and English), simplified summaries, and cultural examples, whereas literal translation was the least effective. Statistical analyses indicated a positive correlation between language proficiency and academic achievement ($r = 0.54$, $p < 0.01$). The results emphasize the importance of adopting a unified Arabic teaching strategy that includes bilingual dictionaries, comparative curricula, and practical training units to enhance students' understanding of philosophical concepts. This study contributes to the literature on teaching philosophy and Arabic as a second language and promotes intercultural dialogue between the Arab world and Africa.

المقدمة

تؤدي اللغة العربية دوراً محورياً في تعزيز التواصل الثقافي والحوار الحضاري بين الشعوب، فهي لغة القرآن الكريم، ووعاء حضاري وثقافي غني بالقيم والمعاني الإنسانية. ومع تزايد الاهتمام العالمي بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، برزت الحاجة إلى تطوير مناهج وأساليب تعليمية تتجاوز الجانب اللغوي البحت لتشمل البعد الثقافي والفكري والفلسفي.

ومن بين المجالات التي تبرز فيها أهمية اللغة العربية فلسفة الأخلاق، إذ تشكل هذه الفلسفة أساساً لفهم القيم والمعايير التي تحكم السلوك الإنساني، سواء من منظور الفلسفة اليونانية الكلاسيكية كما عند أرسطو، أو من منظور الفلسفة الحديثة كما عند كانط، أو من منظور الفلسفة الإسلامية التي تربط الأخلاق بالعقيدة والشريعة .

إن تعليم فلسفة الأخلاق لغير الناطقين بالعربية يطرح تحدياً مزدوجاً: تحدياً لغوياً يتمثل في استيعاب المصطلحات الفلسفية العربية ذات الدلالات العميقة، وتحدياً معرفياً يتمثل في فهم المضامين الفلسفية نفسها وربطها بواقع المتعلمين وثقافاتهم.

في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى استراتيجية عربية متكاملة لتعليم الفلسفة ومصطلحاتها للناطقين بغير اللغة العربية. فغياب مثل هذه الاستراتيجية يؤدي إلى تباين في المناهج وضعف في مخرجات التعليم، بينما يسهم وجودها في تعزيز مكانة اللغة العربية كوسيط لنقل المعرفة الفلسفية العالمية، وفي الوقت نفسه كحامل للقيم الأخلاقية والثقافية الخاصة بالحضارة العربية والإسلامية .

تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تطبيقاً ميدانياً على عينة من الدارسين القادمين من جنوب السودان بكلية الآداب– جامعة القاهرة فرع الخرطوم. هؤلاء الطلاب يواجهون تحديات لغوية وثقافية في تعلم فلسفة الأخلاق بالعربية، لكنهم في الوقت نفسه يمثلون جسراً للتواصل الحضاري بين إفريقيا والعالم العربي.

إضافة إلى ذلك، تسعى الدراسة إلى سد فجوة في الأدبيات الأكاديمية، حيث ركزت أغلب الدراسات السابقة على تعليم اللغة العربية من منظور لغوي بحت، في حين أن دمج تعليم اللغة والفلسفة الأخلاقية ما زال مجالاً بحاجة إلى البحث والتطوير .

إشكالية البحث:

تتمثل المشكلة البحثية في أن طلاباً غير ناطقين بالعربية يواجهون صعوبات تعلّمية وفهمياً عند دراستهم لفلسفة الأخلاق باللغة العربية. الأمر الذي قد يؤثر سلباً على تحصيلهم الأكاديمي وفهمهم للمصطلحات الفلسفية. لذلك نبحث عن استراتيجيات تعليمية قادرة على تقليص هذه الفجوة وتحسين نواتج التعلم.

أسئلة البحث / فروضه

- ما أبرز الصعوبات التي يواجهها طلاب جنوب السودان في فهم مقررات فلسفة الأخلاق بالعربية؟
- أي الاستراتيجيات التدريسية الحالية تعتبر أكثر فاعلية لدى هذه الفئة؟
- ما الخصائص التي يجب أن يتضمنها نموذج تدريسي مُكيّف لغوياً وثقافياً؟

فرضيات مبدئية:

- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى الكفاءة اللغوية في العربية وتحصيل الطالب في مقرر فلسفة الأخلاق.
- استخدام مواد ثنائية اللغة يُحسّن فهم المصطلحات والمفاهيم الأخلاقية لدى الطلبة غير الناطقين بالعربية.

بناءً على ما سبق، **تهدف الدراسة** إلى:

١- تحليل الصعوبات التي يواجهها طلاب جنوب السودان في دراسة فلسفة الأخلاق بالعربية.

٢- تقييم فعالية طرق التدريس الحالية المستخدمة في كلية الآداب – فرع الخرطوم.

٣- تقديم مقترح عملي لاستراتيجية عربية موحدة لتعليم الفلسفة ومصطلحاتها لغير الناطقين بالعربية.

أهمية البحث:

- من الناحية العلمية: يسهم البحث في إثراء الدراسات الأكاديمية المتعلقة بتعليم اللغة العربية والفلسفة، خصوصًا فيما يتعلق بتدريس فلسفة الأخلاق للناطقين بغير العربية.
- **من الناحية العملية:** يقدم البحث توصيات قابلة للتطبيق في الجامعات والمعاهد، بما يسهم في تحسين استراتيجيات التدريس ورفع كفاءة الطلاب.

- **من الناحية الثقافية:** يعزز البحث الحوار الحضاري بين العالم العربي وأفريقيا، من خلال تطوير فهم مشترك للقيم الأخلاقية والفلسفية وربطها بسياقات ثقافية متعددة.
- **من الناحية السياسية:** يطرق باباً جديراً بالاهتمام، من حيث أن إتاحة فرص التعليم لغير الناطقين بالعربية يتيح أمام ابناء أفريقيا تفهم المواقف السياسية المصرية. وهو ما يفيد في دعم التواجد المصري على المستوى الاقليمي والدولي.

النتائج والمناقشة

الفصل الأول: الإطار النظري والدراسات السابقة.

أولاً: ماهية فلسفة الأخلاق

تُعَدُّ فلسفة الأخلاق أحد الفروع الجوهرية للفلسفة التي تتناول دراسة الأسس والقيم والمعايير التي توجه السلوك الإنساني، بما في ذلك مفاهيم الخير والشر، والواجب والحرية، والفضيلة، والمسؤولية الفردية والاجتماعية. تهدف فلسفة الأخلاق إلى فهم الأسس النظرية لاتخاذ القرارات الأخلاقية، وتقديم إطار لتقييم الأعمال الإنسانية في ضوء قيم معينة.

نشأت ملامح فلسفة الأخلاق في الفلسفة اليونانية القديمة، حيث ركز أفلاطون على العدالة كقيمة مركزية تُسهم في بناء الدولة والمجتمع، معتبرًا أن الفرد الذي يتحلى بالعدالة ينمي توازنه الداخلي ويؤدي دوره الاجتماعي بشكل فعال. أما أرسطو، فقد أبرز مفهوم الفضيلة كوسط بين الإفراط والتفريط، مؤكدًا أن الفضائل لا تُكتسب فحسب بالفطرة، بل عبر التربية والممارسة العملية، وهو ما يُعرف بمفهوم الفضيلة العملية(Frankena, ١٩٧٣).

في الفلسفة الحديثة، منح كانط للأخلاق بُعدًا عقليًا محضًا من خلال مفهوم "الواجب" القائم على الأمر المطلق، حيث تُحدد الإجراءات الصحيحة بما ينسجم مع القاعدة الأخلاقية بغض النظر عن النتائج المترتبة عليها. بالمقابل، ركز جون ستيوارت مل على مبدأ المنفعة باعتبارها معيارًا للحكم الأخلاقي، حيث يُقاس صواب الفعل بما ينتجه من سعادة أو منافع لأكبر عدد من الناس.

أما الفلسفة الإسلامية، فقد ربطت بين الأخلاق والعقيدة والشريعة، معتبرة أن الفضيلة تتحقق من خلال العبادة الطوعية والتزام الإنسان بالقيم الدينية، وهو ما يتضح في كتابات الفارابي، الغزالي، وابن مسكويه، حيث تمزج بين العقل والدين والخبرة الإنسانية في صياغة منظومة أخلاقية متكاملة (المهدى، ٢٠٠٣).

إن تدريس هذه الفلسفات باللغة العربية لغير الناطقين بها يستلزم جهداً مضاعفًا، إذ لا يكفي شرح المصطلحات اللغوية، بل يجب أيضًا تبيين الأبعاد الحضارية والدينية والفكرية الكامنة وراءها، مثل النية، والإحسان، والعدل، والتكليف، والتي غالبًا ما لا يجد لها ما يقابلها بدقة في اللغات الأخرى، مما يبرز الحاجة إلى منهج تعليمي تكاملي يجمع بين اللغة والفكر والثقافة (الزهراني، ٢٠٢٤).

ثانياً: العلاقة بين تعليم اللغة والفلسفة:

أشارت الدراسات المعاصرة في مجال تعليم اللغات إلى أنَّ تعلم اللغة بمعزل عن السياق الثقافي والفكري يؤدي إلى ضعف في استيعاب المعنى الحقيقي للمفاهيم، خصوصاً عند دراسة النصوص الأكاديمية والفلسفية (حلبي، ٢٠٠٢). فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي وعاء للمعرفة الثقافية والقيمية. وبالتالي فإنّ تعليم فلسفة الأخلاق بالعربية للناطقين بغيرها لا يمكن أن يقتصر على الجوانب اللغوية البحتة، بل يجب أن يتم عبر منهج تكاملي يجمع بين تعليم اللغة وفهم المحتوى الفلسفي.

توضح الأبحاث أن ربط المصطلحات الفلسفية بالسياق الثقافي والديني يعزز قدرة المتعلم على استيعاب المعنى الكامل للمفاهيم. على سبيل المثال، عند تدريس مفهوم "العدل"، لا يكفي تقديم الترجمة الإنجليزية "justice"، بل ينبغي شرح أصوله القرآنية، وتوضيح دوره في التراث الفلسفي الإسلامي، وكيفية استخدامه في النقاشات الفلسفية العربية الكلاسيكية والمعاصرة. هذا التكامل بين اللغة والفلسفة يجعل المتعلم أكثر قدرة على فهم العمق الدلالي والنقدي للنصوص، ويساعده على الربط بين المعرفة النظرية والتطبيق الواقعي (العناني، ٢٠٠٩).

وقد أكدت دراسات أخرى أنَّ دمج اللغة والفكر الفلسفي يسهم في تطوير الكفاءة الأكاديمية للمتعلمين، حيث يمكن للطلاب التعرف على المصطلحات المجردة، وتحليل النصوص المعقدة، والتفاعل مع الحجج الفلسفية بوعي نقدي، بدلاً من الاكتفاء بالحفظ والترجمة الحرفية (Cummins, ٢٠٠٠).

باختصار، يشير الباحثون إلى أن تعليم مقرر " فلسفة الأخلاق " بالعربية لغير الناطقين بها يحتاج إلى إستراتيجية تعليمية متكاملة: تعليم المصطلحات اللغوية، وربطها بالتراث الفلسفي، وتوفير الأمثلة التطبيقية التي تعكس القيم الأخلاقية والثقافية، مما يخلق بيئة تعليمية تسمح بفهم متعمق ومتوازن للغة والفلسفة معاً. وأن الفلسفة تتطلب تدريباً متواصلاً على بناء أساليب التفكير ، حيث لا يقتصر الأمر على الموضوعات العامة، بل على أساليب الفهم والتعبير معاً. وهو ما يجعل فلسفة الاخلاق مجالاً لتحليل الأفكار والمفاهيم ارتباطاً باللغة والمصطلحات.

ثالثاً: إشكالية المصطلح الفلسفي

يشكل المصطلح الفلسفي العربي تحديًا جوهريًا أمام الطلاب الأجانب الذين يدرسون فلسفة الأخلاق باللغة العربية، إذ يتجاوز كثير من المصطلحات حدود معناها اللغوي لتشمل دلالات ثقافية، دينية، وفكرية عميقة. فقد لاحظ أحمد مختار عمر (١٩٩٢) أن بعض المصطلحات الفلسفية تحمل مستويات متعددة من المعنى، فهي ليست مجرد كلمات تحمل تعريفًا لغويًا، بل هي إشارات إلى مفاهيم مجتمعية ونظريات أخلاقية متجذرة في التراث الإسلامي.

على سبيل المثال، مصطلح "الحكمة" لا يقتصر على معناه الإنجليزي "wisdom"، بل يمتد ليشمل بعدًا دينيًا يتعلق بالتوجيه الإلهي للإنسان في سلوكه وتصرفاته، وأبعادًا ثقافية مرتبطة بالمعرفة العملية والتجربة الحياتية، كما ورد في نصوص الفارابي والغزالي وابن مسكويه. وبالمثل، مصطلحات مثل "العدل"، "الإحسان"، و"التكليف" تحمل في طياتها سياقات اجتماعية وقيمية متداخلة يصعب نقلها حرفيًا إلى لغات أخرى دون فقدان جزء من عمقها المفاهيمي (الغالي، ١٩٩١).

وقد أبرز الغالي (١٩٩١) أن إعداد كتب تعليمية تراعي هذه الأبعاد يحتاج إلى مجهود كبير، حيث يجب الجمع بين الدقة اللغوية والوضوح المفهومي، مع تقديم أمثلة سياقية تساعد الطلاب على فهم الدلالات غير المباشرة للمصطلحات. وأكد الحديدي (١٩٩٧) أن فشل كثير من البرامج التعليمية لا يعود فقط إلى صعوبة اللغة، بل إلى التعامل مع اللغة العربية كأداة محايدة، بينما هي في الواقع لغة مشبعة بالدلالات الثقافية والفكرية، مما يستدعي اعتماد استراتيجيات تعليمية تراعي الخلفيات الثقافية للمتعلمين وتستخدم الترجمة التفسيرية، والشروح السياقية، والأنشطة التطبيقية لتقريب المفاهيم.

كما أن هذه الإشكالية تتطلب توظيف وسائل تعليمية مبتكرة، مثل المعاجم الفلسفية ثنائية اللغة، ووحدات مقارنة بين الفلسفة الإسلامية والغربية، لتعزيز قدرة الطلاب على إدراك المعاني العميقة للمصطلحات الفلسفية، وبالتالي تحسين فهمهم للمحتوى الأكاديمي وربط المفاهيم بسياقات حياتية وثقافية متعددة.

رابعاً: تعليم فلسفة الأخلاق في الدراسات العالمية

تشير التجارب العالمية إلى أن تدريس الفلسفة الأخلاقية للناطقين بغير لغة الفلسفة الأصلية يمثل أداة فعّالة لتعزيز التفاهم الثقافي. فقد أظهرت دراسة نوسباوم Nussbaum (١٩٩٧) أن تعليم الأخلاق عبر نصوص فلسفية بلغة جديدة يمكّن الطلاب من تطوير "خيال أخلاقي"، يسمح لهم بفهم العالم من منظور ثقافات متعددة. وبالمثل، يؤكد موسى (٢٠٢١) أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، عند ربطه بمضامين أخلاقية، يسهم في نشر قيم التسامح والتعايش، وهو أمر أساسي في عالم معولم يتصاعد فيه خطاب الكراهية والصراعات الثقافية.

خامساً: الدراسات السابقة

تناولت الأدبيات العربية والعالمية عدداً من الإسهامات البحثية المهمة ذات الصلة بتعليم الفلسفة والأخلاق للناطقين بغير العربية، موفرة قاعدة معرفية لفهم التحديات واستراتيجيات التعليم الممكنة:

١- **قاسم (٢٠٢٥):** قدمت دراسة بعنوان "مستخلص تأملات في مواقف العلماء من طلب علم الفلسفة"، ركزت على مدى اختلاف علماء المسلمين الأوائل حول جواز تعلم الفلسفة واللاهوتيات، مسلطة الضوء على التباين الفكري بين التقليديين والمحدثين، وما يترتب على ذلك من انعكاسات على طرق تدريس الفلسفة في السياقات المعاصرة.

٢- **عبد الجليل (٢٠٢٤):** تناول برنامجًا إلكترونيًا يهدف إلى تنمية الفهم القرائي، الأداء الكتابي، والدافعية للإنجاز لدى دارسي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، مستندًا إلى المدخل التكاملي بين اللغة والمضمون. أشارت النتائج إلى أن دمج التعلم الإلكتروني مع أنشطة تطبيقية يزيد من سرعة القراءة والفهم، ويعزز قدرة الطلاب على استيعاب النصوص المعقدة.

٣- **الزهرة (٢٠٢٣):** ركز على معايير بناء اختبارات الكفاءة في اللغة العربية للناطقين بغيرها، موضحًا الأسس اللسانية والنفسية التي يقوم عليها بناء هذه الاختبارات، ومدى تقيدها بالمعايير العلمية لضمان تقييم دقيق لمستوى الطلاب.

٤- **بوحجلة (٢٠٢٣):** قدم دراسة تحليلية ونقدية حول تعليم الفلسفة في البلدان العربية بعنوان "الواقع والأهداف والتحديات". هدفت الدراسة إلى تقييم جودة التعليم الفلسفي على المستويين الأكاديمي والإبداعي، وكشفت عن تحديات تشمل غياب استراتيجيات تعليمية متكاملة وصعوبة النصوص الفلسفية بالنسبة للطلاب.

٥- **القحطاني (٢٠١٩):** تناول اتجاهات حديثة في تعليم العربية كلغة ثانية، موضحًا التحديات الوظيفية والتعليمية التي تواجه الدارسين، مع تقديم أطر نظرية لكيفية تحسين تعلم اللغة بما يتوافق مع أهداف التعليم الفلسفي والثقافي.

٦- **المحمود (٢٠١٩):** ركز على الازدواجية اللغوية لدى الطلاب غير الناطقين بالعربية، محددًا مظاهر الضعف اللغوي في حياتهم اليومية ومعاملاتهم الأكاديمية، مؤكدًا على تأثير ضعف الكفاءة اللغوية على الفهم القرائي والتفكير النقدي في النصوص الفلسفية.

٧- **صبحي (٢٠١٧):** تناول قضايا فلسفة الأخلاق التطبيقية للطلاب المعلمين في شعبة الفلسفة، ودرس فاعلية برنامج تعليمي قائم على استراتيجيات مثل العصف الذهني لتنمية التفكير الأخلاقي والفهم القرائي لدى الطلاب غير الناطقين بالعربية.

٨- **العلوي (٢٠١٦):** حلل التجربة الإسبانية في تدريس الفلسفة ضمن برامج التعليم، مسلطًا الضوء على دور المفاهيم الأخلاقية الأساسية في التكوين المدني للطلاب، وموضحًا كيف يؤثر تدريس فلسفة الأخلاق على المرحلة المراهقة من خلال تعزيز التفكير النقدي والمواطنة الصالحة.

تعقيب تحليلي:

تجمع هذه الدراسات بين البعد النظري والتطبيقي، وتؤكد على أن تعليم الفلسفة والأخلاق للناطقين بغير اللغة الأصلية يتطلب دمج اللغة مع المضمون الثقافي والفكري، واستخدام وسائل تعليمية مبتكرة تشمل: التعلم الإلكتروني، المعاجم ثنائية اللغة، الأنشطة التطبيقية، والتدريس التفاعلي. كما تشير إلى أهمية تكييف المناهج

لتراعي الخلفيات الثقافية والدينية للطلاب، وهو ما يُدعم هدف هذه الدراسة في تطوير استراتيجيات تعليم فلسفة الأخلاق لطلاب جنوب السودان.الفصل الثاني: المنهجية الميدانية

أولاً: تصميم البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج المختلط (المدمج) (Mixed Methods)، الذي يجمع بين الأدوات الكمية والكيفية في آن واحد. فالبعد الكمي يساعد على التعرف على الأنماط العامة للصعوبات التي يواجهها الطلبة من جنوب السودان عند دراسة فلسفة الأخلاق بالعربية، بينما يتيح البعد الكيفي فهماً أعمق للتجارب الفردية والعمليات التعليمية داخل الفصول الدراسية (Creswell & Plano Clark, ٢٠١٧).

تم اختيار هذا التصميم استجابة لطبيعة الموضوع، إذ أن الصعوبات التعليمية لا يمكن قياسها فقط بالأرقام، بل تحتاج إلى رصد الخبرات الثقافية واللغوية المباشرة للمتعلمين.

ثانياً: مجتمع الدراسة والعينة

يتكون مجتمع الدراسة من طلاب جنوب السودان الملتحقين ببرنامج الفلسفة في كلية الآداب – جامعة القاهرة فرع الخرطوم خلال العام الأكاديمي ٢٠٢٣/٢٠٢٤. بالنسبة للبعد الكمي، تم اختيار ٦٠ طالبًا بطريقة العينة العمدية (Purposive Sampling)، مع مراعاة تمثيل مستويات مختلفة في الكفاءة اللغوية بالعربية (مبتدئ – متوسط – متقدم). أما العينة الكيفية، فشملت ١٢ طالبًا تم إجراء مقابلات شبه مهيكلة معهم، بالإضافة إلى ٥ أعضاء هيئة تدريس يدرّسون مقررات فلسفة الأخلاق. يضمن هذا التوزيع التوازن بين تمثيل تجارب الطلاب وفهم استراتيجيات التدريس المتبعة من قبل الأساتذة.

ثالثاً: أدوات جمع البيانات

الاستبيان:

بُني الاستبيان على مقياس ليكرت من ٥ نقاط (Likert 5-Point Scale)، حيث تتراوح الخيارات من (١ = أبدًا) إلى (٥ = دائمًا). تضمن ٢٥ بنداً موزعة على أربعة محاور رئيسية:

- **الكفاءة اللغوية.**
- **صعوبة المصطلحات الفلسفية.**
- **فهم النظريات الفلسفية.**
- **فاعلية طرق التدريس.**

وقد تم تصميم بنود الاستبيان استناداً إلى الأدبيات السابقة التي تناولت العلاقة بين الكفاءة اللغوية والتحصيل الأكاديمي، وتأثير الاستراتيجيات التعليمية على فهم المفاهيم المجردة، بما في ذلك أعمال

Cummins (٢٠٠٠) و الزهرة (٢٠٢٣). صُممت البنود لتقييم كل من الجوانب اللغوية والمعرفية وأساليب التدريس من منظور الطلاب، بما يتيح قياس الفروق الفردية في مستويات الفهم والتطبيق.

المقابلات شبه المهيكلة:

- ركزت على تجربة الطالب في الفصل الدراسي، المصطلحات الأكثر صعوبة، الاستراتيجيات التي ساعدته، ومقترحاته لتحسين المقرر.
- مقابلات مع الأساتذة تناولت خبراتهم في التدريس، تحدياتهم، واستراتيجياتهم المبتكرة.

تحليل المحتوى:

- تمت مراجعة المقررات والسلاسل التعليمية المقررة في مادة فلسفة الأخلاق.
- جرى فحص مستوى ملاءمة المصطلحات وترجمتها، وأنماط عرض النصوص صبحي(٢٠١٧).

الملاحظات الصفية:

شملت ثماني محاضرات نموذجية.

ركزت الملاحظات على طرق التدريس (محاضرة، نقاش، أنشطة جماعية) وتفاعل الطلاب مع المفاهيم الأخلاقية.

رابعاً: إجراءات جمع البيانات

الخطوة الأولى: الحصول على الموافقات الرسمية من إدارة الكلية وإعلام المشاركين بأهداف البحث وضمان سرية بياناتهم.

الخطوة الثانية: توزيع الاستبانات ورقياً وإلكترونياً(Google Forms)).

الخطوة الثالثة: إجراء المقابلات في أوقات مناسبة للطلاب والأساتذة، بعضها وجهاً لوجه وبعضها عبر منصات افتراضية مثل Zoom.

الخطوة الرابعة: تسجيل المحاضرات وملاحظتها بعد موافقة الأساتذة، وتفريغ البيانات كتابياً.

خامساً: طرق التحليل

التحليل الكمي:

استخدام برنامج SPSS لإجراء التحليل الوصفي (.(Means, Frequenciesوفقًا لدليل جامعة ولاية كينت (Kent State University, ٢٠٢٤)، يمكن استخدام برنامج SPSS لإجراء التحليل الوصفي مثل حساب المتوسطات

(Means) والتكرارات (Frequencies)، ما يساعد على فهم البيانات الإحصائية الأساسية قبل تطبيق اختبارات الفرضيات.

إجراء اختبارات الفروق مثل t-test و ANOVA لقياس الفروق بين مستويات الطلاب اللغوية.

حساب معامل الارتباط (Pearson) بين مستوى الكفاءة اللغوية والتحصيل الدراسي.

التحليل الكيفي:

استخدام منهج التحليل الموضوعي (Thematic Analysis) لاستخراج الموضوعات المتكررة من المقابلات والملاحظات (Braun & Clarke, ٢٠٠٦).

أمثلة للموضوعات: "صعوبة المصطلح"، "غياب الترجمة المفاهيمية"، "أهمية الأمثلة الثقافية".

سادساً: اعتبارات أخلاقية

التزم البحث بالمبادئ الأخلاقية للتعامل مع المشاركين، حيث تم: الحصول على موافقة خطية من الطلاب والأساتذة. كذلك تم التأكيد على أن البيانات ستستخدم لأغراض أكاديمية فقط بالإضافة إلى إتاحة خيار الانسحاب في أي وقت دون أية تبعات.

الفصل الثالث: النتائج والمناقشة والتوصيات

أولاً: النتائج الكمية

أظهرت التحليلات الإحصائية للبيانات المستخلصة من الاستبانات (N = ٦٠) عدداً من المؤشرات المهمة:

الكفاءة اللغوية:

جاء ٣٠٪ من الطلاب في مستوى مبتدئ، و٥٠٪ في مستوى متوسط، و٢٠٪ في مستوى متقدم. ويشير هذا التوزيع إلى أن أغلبية الطلاب لم يصلوا بعد إلى الكفاءة الأكاديمية المطلوبة لفهم النصوص الفلسفية باللغة العربية.

صعوبة المصطلحات:

أشارت نسبة ٨٢٪ من المشاركين إلى أن المصطلحات الفلسفية تشكّل عائقاً رئيسياً أمام الفهم، ومن أبرز المصطلحات التي وُصفت بالصعوبة: العدل، الفضيلة، الواجب، المقاصد، والعقل العملي. ويوافق هذا ما أشارت إليه الدراسات السابقة بأن التعلم من خلال لغة ثانية يتأثر بشكل كبير بمستوى إدراك المفردات المتخصصة (Cummins, ٢٠٠٠).

النصوص الفلسفية:

أفادت نسبة ٧٦٪ من المشاركين أن النصوص الفلسفية كانت طويلة ومعقدة من الناحية التركيبية، وأظهر الطلاب المبتدئون ضعفاً خاصاً في التعامل مع العبارات المجردة. ويتوافق هذا مع ما أشار إليه باكير البرازي (١٩٨٩) بأن طول الجملة العربية وكثافة المصطلحات المجردة تشكل تحدياً كبيراً أمام الدارسين الأجانب، مما يستدعي استخدام استراتيجيات تعليمية داعمة مثل الشرح المزدوج للغة والمصطلحات (البرازي، ١٩٨٩).

فاعلية طرق التدريس:

أظهر الطلاب أن أكثر الوسائل التعليمية فاعلية كانت: الشرح باللغتين العربية والإنجليزية بنسبة ٧٤٪، توفير ملخصات مبسطة بنسبة ٦٨٪، واستخدام الأمثلة الثقافية بنسبة ٦٥٪. بالمقابل، كانت الترجمة الحرفية للنصوص أقل الوسائل فاعلية، حيث أشارت نسبة ٣٢٪ فقط من الدارسين إلى جدواها في فهم المواد الفلسفية. تشير هذه النتائج إلى أهمية التكيف اللغوي والثقافي في التعليم الفلسفي للناطقين بغير العربية، بما يدعم قدرة الطالب على فهم المفاهيم المجردة (Cummins, ٢٠٠٠; حلبي ٢٠٠٢).

العلاقة بين اللغة والتحصيل:

أظهرت التحليلات الإحصائية باستخدام معامل ارتباط بيرسون (Pearson) علاقة موجبة متوسطة ($r = 0.54$، $p < ٠,٠١$) بين مستوى الكفاءة اللغوية في العربية ودرجات الطلاب في امتحان فلسفة الأخلاق. وهذا يعني أن ارتفاع مستوى اللغة العربية الأكاديمية لدى الطلاب يؤدي إلى تحصيل أعلى وفهم أفضل للمحتوى الفلسفي، مما يتفق مع نظرية Cummins (٢٠٠٠) حول العلاقة بين الكفاءة اللغوية والتحصيل الأكاديمي.

ثانياً: النتائج الكيفية

من خلال ١٢ مقابلة مع الطلاب و٥ مقابلات مع الأساتذة إضافة إلى الملاحظات الصفية، برزت عدة محاور رئيسية:

تجربة الطلاب مع النصوص:

عبّر كثير منهم عن الشعور بالإحباط عند قراءة نصوص مسكويه أو الأشعري بالعربية لأول مرة.

أحد الطلاب قال: "أحتاج وقتاً طويلاً لترجمة كلمة واحدة حتى أفهم معناها في النقاش" (مقابلة رقم ٤).

دور الثقافة في الفهم:

أظهرت النتائج أن طلاب جنوب السودان واجهوا صعوبة في ربط المفاهيم الفلسفية والأخلاقية(مثل مقاصد الشريعة،) بسياقها الثقافي غير الإسلامي، مما أثر على قدرتهم على استيعاب المعاني الدقيقة لهذه المفاهيم. بالمقابل، ساعد استخدام الأمثلة الأخلاقية العامة، مثل العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، في تقريب هذه المفاهيم وجعلها أكثر وضوحًا وقابلية للتطبيق ضمن سياقاتهم الثقافية المختلفة.

استراتيجيات التدريس:

أشار الأساتذة إلى اعتمادهم على أسلوب الشرح المزدوج باللغة العربية والإنجليزية لتوضيح المفاهيم الفلسفية المعقدة، خصوصًا عندما تتعلق بمصطلحات مجردة مثل "الفضيلة" و"العدالة" و"المقاصد" (مقابلة أستاذ رقم ٢). وأوضح أحدهم:

" أحياناً لا يمكن شرح الفضيلة بالعربية فقط، بل أحتاج لتوضيحها بالإنجليزية حتى أصل إلى المعنى" (مقابلة أستاذ رقم ٢).

يأتي هذا الأسلوب متوافقًا مع توصيات Cummins (٢٠٠٠) حول تعزيز الكفاءة الأكاديمية للطلاب غير الناطقين بلغة الدراسة، حيث يساعد الدمج اللغوي على الربط بين الكفاءة اللغوية والمعرفة المفاهيمية. كما تدعم الدراسات الحديثة هذا النهج، إذ تشير Joshi et al. (٢٠١٥) إلى أن الشرح المزدوج يرفع من قدرة الطلاب على استيعاب المصطلحات المعقدة وتطبيقها في سياقات متعددة.

رغبة الطلاب في دعم إضافي:

أعرب معظم الطلاب عن الحاجة إلى ورشة مصطلحات فلسفية ثنائية اللغة كأداة مساعدة لفهم النصوص الفلسفية المعقدة، بحيث تكون مكمّلة للمقرر الأساسي. وقد أشاروا إلى أن وجود معاجم ثنائية اللغة ووحدات تدريبية تطبيقية يمكن أن يقلل من صعوبات الفهم ويعزز من مشاركة الطلاب في النقاشات الصفية، وهو ما يتماشى مع توصيات Rattray & Jones (٢٠٠٧) في تصميم أدوات تعليمية فعّالة. هذا يتوافق مع توصيات الدراسات السابقة صبحي، (٢٠١٧).

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى أن تعلم فلسفة الأخلاق باللغة العربية للناطقين بغيرها يواجه تحديات مزدوجة، تجمع بين العوائق اللغوية والثقافية، وهو ما يعكس الطبيعة المعقدة للتعليم الفلسفي في بيئات متعددة اللغات والخلفيات.

أولاً: العائق اللغوي

أظهرت البيانات أن ضعف الكفاءة اللغوية الأكاديمية (CALP) لدى الطلاب يمثل العقبة الأبرز أمام استيعاب النصوص الفلسفية باللغة العربية. الطلاب المبتدئون والمتوسطون يجدون صعوبة خاصة في معالجة النصوص الطويلة والمعقدة من الناحية التركيبية، وفهم المصطلحات المجردة ذات الدلالات الفلسفية العميقة مثل "الفضيلة"، "الواجب"، و"العقل العملي". هذا يتوافق مع نظرية Cummins (٢٠٠٠) التي تفرق بين الكفاءة اللغوية الأساسية (BICS) والكفاءة الأكاديمية المتقدمة (CALP)، حيث يشير الباحث إلى أن التحصيل الأكاديمي يرتبط بشكل مباشر بالقدرة على فهم اللغة الأكاديمية المجردة، وليس اللغة اليومية فحسب.

ثانياً: العائق الثقافي

تلعب الخلفية الفكرية والدينية للطلاب دوراً حاسماً في مدى استيعابهم لمضامين الأخلاق الإسلامية. معظم طلاب جنوب السودان المشاركين في الدراسة لديهم خلفيات مسيحية أو لا دينية، مما يجعل ربط مفاهيم مثل مقاصد الشريعة، العدالة الإلهية، والفضيلة الأخلاقية بسياقها الثقافي أمراً صعباً. هذه الملاحظة تدعم ما أكده مسكويه في تهذيب الأخلاق بأن الأخلاق ليست مجرد ألفاظ، بل منظومة قيمية تحتاج إلى معايشة ثقافية وخبرة معرفية لفهمها وتطبيقها بشكل صحيح.

ثالثاً: أهمية الاستراتيجية العربية الموحدة

تظهر النتائج أن نجاح تعليم فلسفة الأخلاق للناطقين بغير العربية يعتمد على وجود استراتيجية تعليمية متكاملة، تشمل:

١- معاجم ثنائية اللغة للمصطلحات الفلسفية: تساعد الطلاب على فهم المعنى الدقيق للمصطلحات وتوفير مقابل لغوي وثقافي مناسب عند الحاجة.

٢- وحدات مقارنة بين الأخلاق الإسلامية والفلسفات الغربية: تمكن الطلاب من الربط بين مفاهيمهم الثقافية السابقة والنصوص الفلسفية العربية، ما يسهل إدراك القيم المشتركة وفهم الاختلافات الفكرية.

٣- أنشطة تطبيقية تربط المفاهيم الأخلاقية بسياقات ثقافية متعددة: مثل دراسات حالة، مناقشات جماعية، وعرض أمثلة واقعية من المجتمعات المختلفة، مما يعزز الفهم العملي ويقلل من شعور الغربة الثقافية أثناء دراسة النصوص.

تحليل تكاملي

توضح هذه النتائج أن التعليم الفلسفي لا يقتصر على نقل المعرفة النصيّة، بل يتطلب دمج اللغة، الثقافة، والفكر في بيئة تعليمية داعمة. وتبرز الحاجة إلى منهجيات تدريسية تفاعلية ومتعددة الوسائط، تدعم القدرة على التفكير النقدي، التحليل الأخلاقي، وربط المعرفة بالقيم الإنسانية العالمية. كما تتفق النتائج مع الدراسات السابقة (Cummins, 2000; Nussbaum, 1997; Joshi et al., ٢٠١٥) التي أكدت على أهمية الشرح المزدوج، الأنشطة التفاعلية، وإدخال عناصر ثقافية متنوعة لتعزيز التعلم العميق لدى الطلاب غير الناطقين بلغة الدراسة.

رابعاً: أبرز التوصيات **للهيئة التدريسية:**

١- إعداد قاموس مصطلحات فلسفية ثنائي اللغة (عربي–إنجليزي) خاص بالمقررات.

٢- اعتماد أسلوب التدريس التفاعلي (المناقشات، مجموعات العمل) بدلاً من الاقتصار على المحاضرة التقليدية.

٣- إدخال أمثلة أخلاقية من بيئات غير إسلامية (مثل جنوب السودان) لزيادة قابلية الفهم.

أهم التوصيات للجامعات:

١- إنشاء وحدات دعم لغوي لطلاب الفلسفة غير الناطقين بالعربية.

٢- تبني مقررات مقارنة في الأخلاق (Comparative Ethics) تربط التراث الإسلامي بالغربي والإفريقي.

٣- دعم الأساتذة بدورات تدريبية في استراتيجيات تعليم الفلسفة لغير الناطقين بالعربية.

للباحثين:

١- إجراء دراسات طولية لقياس أثر تطبيق الاستراتيجيات المقترحة على مدى ثلاث سنوات.

٢- توسيع نطاق البحث ليشمل جنسيات أخرى في جامعات عربية مختلفة.

٣- دمج أدوات رقمية (منصات تفاعلية، قواميس إلكترونية) لدعم الطلاب.

الخاتمة

تبيّن من خلال هذه الدراسة الميدانية على طلاب جنوب السودان الدارسين لمقرر فلسفة الأخلاق بكلية الآداب – جامعة القاهرة فرع الخرطوم، أنّ تعليم الفلسفة باللغة العربية لغير الناطقين بها يمثّل مجالاً خصباً للتحديات والفرص في آنٍ واحد. فالتحديات تتمثل في ضعف الكفاءة اللغوية الأكاديمية، وغموض المصطلحات الفلسفية، وتباين الخلفيات الثقافية والفكرية للطلاب. أما الفرص، فتكمن في إمكانية بناء جسور تواصل حضاري عبر الفلسفة والأخلاق، وإيجاد أرضية مشتركة للحوار بين الثقافات. ويصبح ذلك أمراص مهماً وبخاصة في إطار رؤية أشمل حول مكانة التعليم العربي لغير الناطقين بلغته واعتباره مجالاً حيوياً للقوى الناعمة التي تبحث عنها الدول العربية عامة ومصر حاصة.

أثبتت النتائج أن نجاح تعليم فلسفة الأخلاق لا يتوقف فقط على إتقان اللغة، بل يحتاج أيضاً إلى إستراتيجية عربية موحدة تتضمن:

١- تطوير معاجم فلسفية ثنائية اللغة.

٢- إدخال مناهج مقارنة تربط الفلسفة الإسلامية بالغربية والإفريقية.

٣- دعم الأساتذة بمهارات تربوية خاصة بتعليم الفلسفة لغير الناطقين بالعربية.

إن هذه الدراسة تفتح المجال لمزيد من الأبحاث التطبيقية التي تستهدف قياس أثر هذه الاستراتيجيات المقترحة على المدى الطويل، مما يساهم في تطوير التعليم الفلسفي في السياق العربي ويعزز دوره في خدمة الحوار الحضاري.

المراجع

المراجع

١- البرازي، م. م. ب. (١٩٨٩). مشكلات اللغة العربية المعاصرة. عمان، الأردن: مكتبة الراسلة.

٢- الزهراني(٢٠٢٤) *اللسانيات الاجتماعية وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - دراسة نظرية تطبيقية*، الأردن، دار ركاز للنشر والتوزيع.

٣- المالكي (٢٠٢٢) صعوبات تعليم اللغة عن بُعد: دراسة تطبيقيّة على معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الملك عبدالعزيز)

٤- العلوي، ر. (٦ أبريل، ٢٠١٦). التجربة الإسبانية في تدريس الفلسفة ضمن برامج التعليم. الشرق الأوسط. https://aawsat.com/home/article/٦١٠٢١٦/التجربة-الإسبانية-في-تدريس-الفلسفة-ضمن-برامج-التعليم

٥- بطاوي(٢٠١٨) فلسفة الأخلاق في الشريعة الإسلامية: دراسة في علم قواعد الفقه، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٦- بيودن، س. ب. (٢٠٢٥). تأملات في مواقف العلماء من طلب علم الفلسفة. مجلة الناطقين بغير اللغة العربية، ٢(٦).
https://journals.ekb.eg/article_409192_a022518223a6d8f36e3857e463918ba8.pdf

٧- حلبي، أحمد طعمة. (٢٠٠٢). أساليب تدريس قواعد اللغة العربية. عمان: دار المناهج.

٨- دوز(٢٠١٦) الأخلاق: بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، المملكة المتحدة، مركز براهين للأبحاث والدراسات.

٩- سعيدان، م. (٢٠١٧). الأخلاق في الفكر الإسلامي. التفاهم، (٥٥-٥٦).
https://tafahom.mara.gov.om/storage/al-tafahom/ar/2017/055-056/pdf/05.pdf

١٠- صبحي(٢٠١٧) فاعلية وحدة مقترحة في فلسفة الأخلاق التطبيقية باستخدام استراتيجية العصف الذهني على تنمية التفكير الأخلاقي لدى الطلاب المعلمين شعبة الفلسفة والاجتماع، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية.

١١- مسكويه. (١٩٨٥). تهذيب الأخلاق. تحقيق قسطنطين زريق. بيروت: دار الأندلس.

Reference

1- Banks, J. A. (2008). An Introduction to Multicultural Education. Pearson.

2- Beauchamp, T. L., & Childress, J. F. (201 Cummins, J. (2000). Language, Power and Pedagogy: Bilingual

3- Children in the Crossfire. Multilingual Matters. 9). ***Principles of Biomedical Ethics***. Oxford University Press.

4- Joshi, A., Kale, S., Chandel, S., & Pal, D. K. (2015). Likert scale: Explored and explained. British Journal of Applied Science & Technology, 7(4), 396–403. https://doi.org/10.9734/BJAST/2015/14975

5- Kent State University. (2024). ***Using SPSS for descriptive statistics: Means and frequencies. Kent, OH***: Kent State University. https://www.kent.edu/

6- MacIntyre, A. (2007***). After Virtue***. University of Notre Dame Press.

7- Nussbaum, M. (2011). ***Creating Capabilities: The Human Development Approach***. Harvard University Press.

8- Rattray, J., & Jones, M. C. (2007). Essential elements of questionnaire design and development. Journal of Clinical Nursing, 16(2), 234–243. https://doi.org/10.1111/j.1365-2702.2006.01573.x

9- Wong, D. (2006). ***Natural Moralities: A Defense of Pluralistic Relativism***. Oxford University Press.